﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: 27 - 29]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

لا صلاح للأمم إلّا باتباع القرآن الكريم

بعد أنْ أبطل الله مزاعمهم، وأفاقهم مِن ضلالتهم؛ أرشدَهم إلى حقيقة القرآن الكريم، وأنَّه هو صلاحهم في اعتقادهم، وطاعاتهم، وأخلاقهم وكلِّ حياتهم، فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ذِكْرٌ﴾: الذِّكْر - بالكَسْرِ - لَهُ مَعْنيانِ: التَّلَفُّظُ بالشَّيء، وإحضاره في الذِّهْن بحَيْثُ لا يغيب عَنهُ، وهوَ ضد النسْيان، والذُّكر - بالضَّمِّ - : للمعنى الثّاني لا غير، وإذا أُريد بالذِّكْر الحاصِل بالمَصْدَرِ يُجْمَع على (أذكار)، وهوَ الإتيان بألفاظ ورد التَّرْغيب فيها[2].

والذِّكْر هنا: الشَّرَفُ والصّيت، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]، والذِّكْرُ: الكتابُ الذي فيه تفصيلُ الدين، وكلُّ كتابٍ للأنبياء: ذِكرٌ، والذِّكْر: الصلاة، والدعاء، والثناء، والأنبياء؛ إذا حَزَبَهُم أمْرٌ، فزعوا إلى ذِكر الله تعالى، أي: الصلاة[3].

2) ﴿يَسْتَقِيمَ﴾: أقامَ، وأقامَ بـ، وأقامَ في، وأقامَ لـ، يُقيم، أقِمْ، إقامةً، فهو مُقيم، والمفعول مُقام، أقام الصَّلاةَ: أدامها، ووفّاها بصورة كاملة، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: 43]، وأقام البناءَ: شيَّده، قال تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: 77].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 165.
(2) أبو البقاء، الكليات، ص: 456.
(3) الخليل، العين: 5/ 346.

واستقامَ يستقيم استَقِم استقامةً، فهو مُستَقيم، استقام العودُ: استوى، واستقام الطريقُ، قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]، واستقام الإنسانُ: اعتدل في سلوكه، وكانت أخلاقُه فاضلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: 30]، ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا﴾ [يونس: 89]: امضيا واستمِرّا، واستقام على الطَّريق: اهتدى[1]، والاستقامة هنا في الآية: مستعارةٌ لصلاح العمل الباطني، وهو الاعتقاد، والظاهري وهو الأفعال والأقوال؛ تشبيهًا للعمل بخط مستقيم تشبيه معقول بمحسوس[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تحقّق كلّ مشيئةٍ مرهونٌ بإذْن الله ﷻ ومشيئة

ما هذا القرآن الكريم إلّا ذِكْرٌ لجميع الناس، يتذكَّرون به ما وقَرَ في قلوبهم مِن الميل إلى الخير، وإنما أنساهم ذِكْرَهُ ما طَرَأ على طباعهم من أنواع السّوء، التي تُحْدِثُها أمراضُ التقلُّب في الحياة، إنه ذِكر يتذكر به مَن وجَّه إرادتَه، إلى الاستقامة على الجادّة الواضحة بمُلازمة الحقِّ والعدل، وتَحَرّي الصواب، وأمّا مَن صرف نفسه عن ذلك، ولم يُرِد إلّا الاعوجاج والانحراف؛ فذلك الذِّكرُ لا يُؤَثِّر فيه، ولا يُخْرِجُه عن غفلته هذا، وقد فرض الله على المكلف أن يوَجِّه فِكْره نَحوَ الحق؛ ليطلُبه، وأن يَحْفِز عزْمه إلى الخير؛ ليَكْسبه[3].

على أنّ تحقيقَ مشيئةِ مَن شاء الهداية، وسعى إليها، وتحقيقَ مشيئةِ مَن شاء غيرَها وسعى إليه؛ مرهونٌ بإذْن الله تعالى بها ومشيئته إياها، فما شاءه سبحانه، وأذِنَ به من تلك المشيئات؛ تحقَّق لصاحبه، وما لم يشأْه من تلك المشيئات؛ لم يتحقق لصاحبه، فلا مشيئة مستقلة لأحد غيره ﷻ، بل كل مشيئة مرهونة بمشيئته ﷻ.

(1) أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة: (قوم).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 166.
(3) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1810.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علة فصل جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

فُصِلَتْ جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ عن جملة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ - إذ جملة ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ معترضة بينهما؛ لأنّ الثانية مؤكِّدةٌ لمعنى الأولى، فكون القرآن الكريم ذِكْرًا للعالمين دليلُ كونه كلامَ الله تعالى، وليس بقول شيطان رجيم، فهي منها بمنزلة نفسِها؛ فلَم تَحْتَجْ إلى عاطف.

الروابط المعنوية بين التراكيب القرآنية متينة وثيقة

معنى ﴿إِنْ﴾ في جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿إِنْ﴾ في جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ نافية بمعنى (ما)[1]، وهي تُهَيِّئُ لتركيب أسلوب القصر، والمعنى: ما هو - أي: القرآن الكريم أو الرسول ﷺ - إلّا تذكِرة لِمَن اختار طريق الهداية مِن العالمين جميعًا.

مرجع الضَّمير المنفصل في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

الضمير المنفصل ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، يعود إلى القرآن الكريم السابق ذِكره في السياق: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، و﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾، وجوِّز كونُه للرسول ﷺ، أي: ما هو ﷺ إلا مذكِّر للعالمين[2].

ضمير الفصل يُضفي على مرجِعِه مزيدًا من التكريم، وكأنه مُتَعَيِّنٌ به

والتعبير بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ يُضفي على مرجِعِه مزيدًا من التكريم والتعظيم، وكأنه مُتَعَيِّنٌ معروف به، ينصرف إليه عند إطلاقه لكمال شهرته وخصوصيته.

دلالة التعبير بـ﴿ذِكْرٌ﴾ في جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

في التعبير عن القرآن الكريم - أو الرسول ﷺ - بوصف الـ﴿ذِكْرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ دلالة على

القرآن الكريم - وكذا الرسول الكريم - شرفٌ لمن انتسب إليه، وانتفع به

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 295.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 265.

قوة أثره في الخَلق جميعًا، من حيث إنّه "تَذكِرةٌ وعظةٌ للعالمين من الجنِّ والإنسِ، وجَعَل ذلك تعالى ذكرُه ذكرًا لِمن شاء من العالمين أنْ يستقيمَ، ولم يجعَلْه ذكرًا لِجميعهم"(1).

والذِّكر اسمٌ يَجمع معاني الدعاء والوعظ بحُسْنِ الأعمال، والزجر عن الباطل وعن الضلال، أي: ما القرآن الكريم إلّا تذكيرٌ لِجميع الناس، ينتفعون به في صلاح اعتقادهم، وطاعة الله ربهم، وتهذيب أخلاقهم، وآداب بعضهم مع بعض، والمحافظة على حقوقهم، ودوام انتظام جماعتهم، وكيف يعامِلون غيرَهم من الأُمَم الذين لم يتَّبعوه(2).

وإلى ذلك ففي وصْف الـ ﴿ذِكْرٌ﴾ دلالة على أنه "شرفٌ للخلق كلِّهم من الجن والإنس والملائكة"(3)، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: 43 - 44].

معنى اللام في قوله: ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

اللام في قول الله تعالى: ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لامُ الاختصاص الجارَّةُ، الدالة على أن القرآن الكريم، وكذا الرسول ﷺ - عالميّا البركة والنَّفْع، وإنما يتوقف نَفْعُهما على من شاء الهداية، وسعى إليها وقبِلها، وإلا فقد قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: 82]، ويقول سبحانه في الرسول ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28]، وذلك دليل على أن القرآن الكريم، وكذا الرسول ﷺ عالميّا النَّفْع، غير أن الإفادة من نَفْعِهما تتوَقَّف على مَن شاء الهداية.

القرآن الكريم والرسول ﷺ عالميّا النَّفْع، ونَفْعُهما وقْفٌ على مَن شاء الهداية

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 171.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 165.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 295.

معنى (ال) في (العالمين) في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

(الـ) في (العالمين) في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لتعريف الجنس، أي "الخلق أجمعين"[1]، وفي ذلك دلالة على أن القرآن الكريم، وكذا الرسول ﷺ بركةٌ على الخلق جميعًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107]، وإن كان المقصود بالعالمين الإنس والجنّ بوصفهما أهل التكليف؛ فـ (الـ) لتعريف العهد الذهني، ويكون في تعميم (العالمين) ترغيب في الإيمان بالله تعالى، والتزام الوحيَيْنِ الشريفيْنِ، والانتفاع بهما.

الإسـلام دعـوة عالَميّة، ووحياه الشريفان خير وبركة ونجاة لِمَن التزمهما

وعلى كلٍّ ففي التعبير بعموم (العالمين) دعوة للمكلفين جميعًا، وترغيب لغير المؤمنين، وكأنه يقول لهم: إنه "ذِكْر لِمن شاء منكم أيها المشركون، أن يتلقى منه الموعظة والهدى، ويستقيم على طريق الحق، ويسلك مسلك النجاة"[2].

بلاغة القصر في جملة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

صاغ النظم الكريم المعنى في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ قَصْرًا، وفي أقوى طُرُقه: النفي والاستثناء ﴿إِنْ﴾، ﴿إِلَّا﴾، وذلك لعِظم الحُكْم وخطورة القضية، فإنَّها تتعلق بعالَمية الذِّكْر الحكيم، وعُمومية الرسالة المحمدية، فالمعنى من هذه الجهة كبيرٌ، وهو من الأخبار التي تُؤكَّد لِذاتها، كما يقول ابن حجر في الفتح: "وقَد يَكونُ التَّأْكيدُ مِنْ جِهَةِ أنَّ القَضيَّةَ في نَفسِها مِمّا يُهْتَمُّ بِهِ، وإن لَمْ يَكُنْ هُناكَ مُنْكِرٌ"[3].

لا ينـكـر بـركـة الـقـرآن ونفعه إلّا جاحد

وإذا كانت القضيّة هنا محلَّ إنكار؛ فقد تحتّم تأكيدها بصَوْغِها قَصْرًا، وبأقوى طُرُقه، وهو قَصْر موصوف - القرآن الكريم أو

(1) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 432.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 16/ 1476.
(3) العسقلاني، فتح الباري: 1/ 74.

الرسول ﷺ - على صفة الـ ﴿ذِكْرٌ﴾، فـ "هو قصرٌ إضافيٌّ قُصِد منه إبطال أن يكون قولَ شاعر، أو قولَ كاهن، أو قول مجنون، فمِن جملة ما أفاده القصر نفْيُ أنْ يكون قولَ شيطان رجيم، وبذلك كان فيه تأكيدٌ لِجُملة: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾"[1].

نكتة تكرار (اللام) في قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾:

من سلك طريق الله هداه الله ووفَّقه

(اللامُ) في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بَدَلٌ من اللام في القيد بالجار والمجرور ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، فكأن معنى الكلام: إنْ هو إلا ذكرٌ لِمن شاء منكم أنْ يستقيمَ على سبيل الحقِّ، فيتَّبِعَه، ويؤمنَ به[2]، وإنما أُبْدِلوا مِنهم؛ لأنّ الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفِعون بالذِّكر، فكأنه لم يوعظ به غيرُهم، وإن كانوا موعَظين جميعًا[3].

وفي تلك البدليّة تأكيدُ العامل، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ [الأنعام: 99]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: 75][4]، فخَصَّص تعالى مَن شاء الاستقامة بالذِّكر تشريفًا وتنبيهًا، وذِكرًا - أيْ: مَدْحًا وإشادةً - لِتَكسُّبهم أفعالَ الاستقامة[5]، فالمقصود بهذه الجملةِ الثناءُ عليهم والتنويه بشأنهم[6].

علَّة التعبير بالموصول في قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾:

الموصولُ يُهَيِّئ التركيبَ لِذِكْر عناصرَ مؤثِّرةٍ، ولا تُتاح إلا به

التعبير بالموصول في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أتاح للتركيب الإتيانَ بجملة الصلة: ﴿شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، وهي عامرة بالدلالات والإشارات، مثل النَّص على المشيئة مسنَدةً

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 165.
(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 172.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 713.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 166.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 445.
(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 306.

للمستقيم من المكلَّفين، والدلالة بذلك على أنّ له اختيارًا لا إجبارًا، ومثل التقييد بـ ﴿مِنكُمْ﴾، والدلالة به على أنَّ كلًّا على انفراده مكلَّفٌ، وكلًّا على انفراده تحت المسؤولية - كما تدلُّ (مِن) التبعيضية - وأنه موضع مُساءلة.

ومثل التعبير بالمصدر المؤوَّل ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾، والدلالة به على الاستقامة والمضارَعة معًا، وأنّ تجديده استقامتَه كلَّما جذبته معصيةٌ؛ أمرٌ مطلوب، ولا مناص للمؤمن منه... إلى آخر الدلالات والإشارات، التي ما كانت لِتتحقق بالتعبير بالاسم الصريح، كما لو قيل في غير القرآن الكريم: إنْ هو إلّا ذِكر للعالمين لِشائي الاستقامة منكم.

دلالة التعبير في ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾:

التعبير بالمشيئة مسندةً للعبد المستقيم يحتمل وجهين: أحدهما: أنْ يُحمل على تحقيق المشيئة، ويكون تأويله: أنّ مَن أراد الاستقامة على أمرِ الله تعالى أو على الحق؛ فهذا الذِّكر يُقيمُه على الحق وعلى الأمر، ويَهديه إلى ذلك، أو أن يكون هذا على تحقيق الفعل، فيكون معناه: مَن استقام منكم على الحق والأمرِ؛ فهو ذِكر له.

دوام الكفار على الضلال ليس لِقصور القرآن عن هَديهم، بل لمُكابَرتهم وإعراضهم

والأصل أنّ المشيئة وصفُ فِعلِ كلِّ مختار، وإذا كان هكذا؛ صارت المشيئة مقترِنة بالفعل، فإذا فعل؛ فقد شاء؛ فكان في إثبات الفعل إثباتُ المشيئة؛ لذلك استقام حَمْلُه على ما ذَكرْنا، وهو أنْ يُجعل أحدُهما كنايةً عن الآخر[1].

وفي الصلة تعريض بأن الذين لم يتذكروا بالقرآن ما حال بينهم وبين التذكر به إلا أنهم لم يشاؤوا أن يستقيموا، بل رضوا لأنفسهم بالاعوجاج، أي: سوء العمل والاعتقاد؛ ليَعلَم السامعون أنّ دوام

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 440.

أولئك على الضلال ليس لِقصور القرآن عن هَديهم، بل لأنَّهم أبَوا أنْ يَهتدوا به؛ إما للمُكابرة؛ فقد كانوا يقولون: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت: 5]، وإما للإعراض عن تلقيه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت: 26][1].

مرجع ضمير المخاطَبين في قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ﴾:

مَن أراد الهداية؛ فعليه بالقرآن؛ فإنه منجاةٌ له وهدايةٌ، ولا هدايةَ فيما سواه

مرجع ضمير المخاطَبين في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ﴾ إلى كل مكلَّفٍ، ناظِر إلى (العالمين) في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهم "الخلق أجمعين"[2]، أو راجع إلى الذين خوطبوا بقوله ﷺ: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾[3]، وهم كفار قريش، الذين سبق القول بأنهم أوغلوا في الضلال والتكذيب بالقرآن، وبالَغوا في اتِّهام الرسول ﷺ بتُهم الجنون والسِّحر والكهانة وغيرها.

دلالة التعبير بالاستقامة في قوله: ﴿أَن يَسۡتَقِيمَ﴾:

حقيقة الاستقامة صلاح الباطن والظاهر

استقام الإنسانُ؛ إذا اعتدل في سلوكه، وكانت أخلاقُه فاضلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: 30]، ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا﴾ [يونس: 89]، أي: امضيا، واستمِرّا، واستقام على الطَّريق: اهتدى[4]، وعلى ذلك فالاستقامة في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ مستعارَةٌ لِصلاح العمل الباطِنيّ: وهو الاعتقادُ، والظاهريِّ: وهو الأفعالُ والأقوال؛ تشبيهًا للعمل بخطٍّ مستقيم تشبيهَ معقولٍ بمحسوس[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 166.
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 432.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 166.
(4) معجم اللغة العربية المعاصرة: (قوم).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 166.

معنى (ما) في قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ﴾:

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ نافية[1]، والمعنى: ليست المشيئة موكولة إليكم، فمن شاء؛ اهتدى، ومن شاء؛ ضلّ، بل ذلك كلُّه تابع لِمشيئة الله ﷻ ربّ العالمين[2].

المشيئة ليست موكولة إلى أحد، بل تابعة لِمشيئة الله ﷻ رب العالمين

غرض الخبر: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

الخبر: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لِرَدِّ المشيئة إلى نفسه ﷻ، فأعلَمَهم أنّ المشيئة في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلّا بمشيئة الله وتوفيقه، وهذا إعلام بأنّ الإنسان لا يعمل خيرًا إلا بتوفيق الله، ولا شرًّا إلّا بخِذلانه[3].

الإنسان لا يعمل خيرًا إلّا بتوفيق الله، ولا شرًّا إلّا بخِذلانه

على أنّ هذا ليس بالذي يدعو الإنسان إلى أنْ يُعَطّل مشيئته، منتظِرًا مشيئة الله تعالى فيه؛ لأنَّه لا يَعلم ما مشيئةُ الله تعالى فيه، بل إنّ عليه أنْ يُعمِل مشيئته، كما يُعمل جوارحه جميعها، فإذا وافقتْ مشيئتُه مشيئةَ الله تعالى؛ مضتْ، ونَفَذَتْ، وإن خالفت مشيئةَ الله تعالى؛ لم تَمْضِ، ولم تنفذ، ومضت مشيئة الله تعالى.

هذا هو المطلوب من العبد، فإنْ أعطى مشيئتَه ما ينبغي أنْ يُقدّمه بين يديها مِن بحثٍ ونظَرٍ وعقل؛ جاءت مشيئتُه قائمةً على طريق الحق، مثمرةً له أطيب الثمر، تمامًا كما إذا أيقظ حواسَّه، وعمل بها في المحسوسات - كان له من معطياتها ما يصله بالحياة وصلًا وثيقًا، ويقيمه على طريقها دون أن يتعثر، أو يضلّ[4].

نكتة التقييد بوصف ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

وُصِفَ الاسم الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾ بالربوبية في قوله تعالى: ﴿وَمَا

شرف أهل الاستقامة بكونهم بمحلّ العناية مِن ربهم؛ إذ شاء لهم الاستقامة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 168.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 340.
(3) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 432.
(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 16/ 1477.

﴿تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ ليُذكِّر الناس بأفضال ربِّهم ﷻ عليهم بل على الخلائق جميعًا، وأنه سبحانه "الموجِد لهم والمالك، والمُحْسِن إليهم والمُرَبّي لهم، وهو أعلم بهم منهم؛ فلأجل ذلك لا يَقدِرون إلا على ما قدَّرَهم عليه، ويجب على كل منهم طاعتُه والإقبالُ بالكُلِّيَّة عليه ﷻ، وشكرُه؛ استمطارًا للزيادة، فلِهذه الربوبية صحّ تَصرُّفه في الشمس وما تبعها ممّا ذُكِر في أول السورة الكريمة[1].

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 296.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"